فَلا تَكْتَحِلْ عيناكَ منها بِعَبْرةٍ على ذاهبٍ منها فَإِنَّك ذَاهبُ

(١٥٦)

(السيد الحُسَيْن بن يَحْيَى بن إبراهيم الدَّيلمي الذماري)[1]

ولد في سنة ١١٤٩ تسع وأربعين ومائة وألف، ونشأ بذمار وأخذ عن علمائها كالفقيه عبد اللَّه بن حُسين دُلامة، والفقيه حسن بن أحمد الشبيبي، وهما المرجع هنالك في علم الفقه. ثم ارتحل إلى صنعاء، وقرأ في العربية. وله قراءة في الحديث على السيد العلَّامة مُحمَّد بن إسْماعيل الأمير، ثم عاد إلى ذمار واستقر بها، وكان فقيراً فتزوج بامرأة لها ثروة، ثم اشتغل بالتجارة، وتكاثرت أمواله. ولم يكن يتجر بنفسه بل كان ينوب عنه غيره، وهو مُكِبٌّ على العلم، ودرَّس في الفقه وغيره، وتخرَّج به جماعة منهم شيخنا العلَّامة أحمد بن مُحمَّد الحرازي المتقدم ذكره. ثم رحل إلى صنعاء رحلة ثانية بعد سنة (١٢٠٠)، ورافقني في القراءة على شيخنا العلَّامة الحَسَن بن إسْماعيل المغربي فقرأ معنا في صحيح مسلم، وأقرأ الطلبة في الفقه بجامع صنعاء، وبقي مدة، وعزم على استيطان صنعاء ثم بعد ذلك رجَّح العود إلى ذمار فعاد إليها، وهو الآن عالمها المرجوع إليه المتفرد بها من دون مدافع، وصار الطلبة هنالك يقرأون عليه في الفقه والنحو والصرف والأصول والتفسير والحديث، وبيني وبينه من المودة ما لا يعبر عنه، وقد جَرَى بيننا مباحثة علمية مدونة في رسائل هي في مجموع ما لي من الفتاوى والرسائل، ولا يزال يعاهدني بعد رجوعه إلى ذمار، ويتشوق إلى اللقاء، وأنا كذلك. والمكاتبة بيننا مستمرة إلى الآن، وهو من جملة من رغَّبني في شرح المنتقى. فلما أعان اللَّه على تمامه صار يراسلني في الإرسال إليه بنسخة، ولم يكن قد تيسَّر ذلك. ولما ألَّفْتُ الرسالة التي سميتها (إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي) ونقلت إجماعهم من ثلاث عشرة طريقة على عدم ذكر الصحابة بِسَبٍّ أو ما يقاربه، وقعت هذه الرسالة بأيدي جماعة من الرافضة الذين بصنعاء المخالفين لمذاهب أهل البيت فجالوا وصالوا وتعصبوا وتحزبوا وأجابوا بأجوبة ليس فيها إلَّا محض السباب والمشاتمة، وكتبوا أبحاثاً نقلوها من كتب الإمامية والجارودية. وكثرت الأجوبة حتى جاوزت العشرين، وأكثرها لا يعرف صاحبه. واشتغل الناس بذلك أياماً وزاد الشرُّ، وعظمت الفتنة، فلم يبق صغير ولا كبير ولا إمام ولا مأموم إلَّا وعنده من ذلك شيء. وأعانهم على ذلك جماعة ممن له صولة ودولة. ثم إن تلك الرسالة انتشرت في الأقطار اليمنية، وحصل الاختلاف في شأنها،

(١) ترجمته في: نيل الوطر: ١/ ٤٠١؛ معجم المؤلفين: ٤/ ٦٨؛ الأعلام: ٢/ ٢٦٢.

وتعصب أهل العلم لها وعليها حتى وقعت المراجعة والمجاوبة والمكاتبة في شأنها في الجهات التهامية، وكل من عنده أدنى معرفة يعلم أني لم أذكر فيها إلا مجرّد الذبِّ عن أعراض الصحابة الذين هم خير القرون، مقتصراً على نصوص الأئمة من أهل البيت، ليكون ذلك أوقع في نفوس من يكذب عليهم وينسب إلى مذاهبهم ما هم منه برآء، ولكن كان أهل العلم يخافون على أنفسهم ويحمون أعراضهم فيسكتون عن العامة. وكثير منهم كان يُصوِّبُهم مداراةً لهم، وهذه الدسيسة هي الموجبة لاضطهاد علماء اليمن وتسلّط العامة عليهم، وخمول ذكرهم، وسقوط مراتبهم، لأنهم يكتمون الحق. فإذا تكلّم به واحد منهم وثارت عليه العامة صانعوهم وداهنوهم، وأوهموهم أنهم على الصواب، فيتجرأون بهذه الذريعة على وضع مقادير العلماء وهضم شأنهم، ولو تكلموا بالصواب أو نصروا من يتكلم به أو عرَّفوا العامة إذا سألوهم الحقّ وزجروهم عن الاشتغال بما ليس من شأنهم لكانوا يداً واحدة على الحقّ. ولم يستطع العامة ومن يلتحق بهم من جهلة المتفقهة إثارة شيء من الفتن، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون. وكان تأليفي لتلك الرسالة في سنة (١٢٠٨). ومن جملة من اشتغل بها فقهاء ذمار، وقاموا وقعدوا، وكانوا يسألون صاحب الترجمة عن ذلك، ويتهمونه بالموافقة لما في الرسالة لما يعلمونه من المودة التي بيني وبينه، فسلك مسلك غيره ممن قدمت الإشارة إليهم من أهل العلم، بل زاد على ذلك فحرَّر جواباً طويلاً على تلك الرسالة موهماً لهم أنه قد أنكر بعض ما فيها. فلما بلغني أنه أجاب ازداد تعجبي لعلمي أنه لا يجهل مثل ذلك ولا يخفى عليه الصواب، فلما وقفتُ على الجواب وهو في كراريس، رأيته لم يبعد عن الحق ولكنه قد أثار فتنة بجوابه لظن العامة ومن شابههم أن مثل هذا العالم الذي هو لي من المحبين لا يجيب إلَّا وما فعلته مخالف للصواب، فأجبت عليه بجواب مختصر تناقله المشتغلون بذلك وفيه بعض التخشين. ثم إنه عافاه اللَّه اعتذر إليَّ مرات، ولم اشتغل بجواب على غيره لأنهم ليسوا بأهل لذلك. وفي الجوابات ما لا يقدر على تحريره إلَّا عالم، ولكنهم لم يسموا أنفسهم، فلم أشتغل بجواب من لا أعرفه إلَّا أنه وقع في هذه الحادثة من بعض شيوخي ما يقضى منه العجب، وهو أنه بلغني أنه من جملة المجيبين، فلم أصدّق لعلمي أنه ممن يعرف الحقّ ولا يخفى عليه الصواب، وله معرفة بعلوم الكتاب والسنَّة، فبعد أيام وقفت على جوابه بخطه فرأيت ما لا يظن بمثله من المجازفة في الكلام والاستناد إلى نقول نقلها من كتب رافضة الإمامية والجارودية وقرّرها ورجَّحها. وأنا أعلم أنه يعلم أنها باطلة بل يعلم أنها محض الكذب. وليته اقتصر على هذا ولكنه جاء بعبارات شنيعة وتحامل عليَّ تحاملاً فظيعاً، والسبب أنه أصلحه اللَّه نظر بعض وزراء الدولة وقد قام في هذه الحادثة وقعد وأبرق وأرعد، فخدم حضرته بتلك الرسالة التي جنى بها على أعراض الصحابة فضلاً عن غيرهم فما ظفر بطائل.

(واتفقت لصاحب الترجمة محنة) وذلك أن رجلاً يقال له مُحمَّد بن حُسين من أولاد

المهدي صاحب المواهب غاب عن المواهب نحو عشرين سنة ثم لم يشعر أهله بعد هذه المدة إلَّا وقد وصل رجلٌ يزعم أنه هو، فصدقه أهل الغائب كزوجته ووالدته وإخوته. وشاع أنه دخل بالمرأة واستمر كذلك أياماً، فوصل بعد ذلك رجلٌ من بيت النجم الساكنين في زبيد وقال لأهل ذمار وعاملها أن هذا لم يكن الغائب، بل رجل من بيت صَعْصَعَة المزاينة أهل شعسان صعلوك مُتَحيّل مُتلَصِّص كثير السياحة. وكان عند وصوله قد لبس الثياب المختصة بآل الإمام، فطلبه العامل فصمَّم على أنه مُحمَّد بن حُسين من آل الإمام، وشدَّ عضد دعواه مصادقة أم الغائب وزوجته وإخوته. ثم طلبه مولانا الإمام إلى حضرته، ثم بعد ذلك حضر شهود شهدوا أنه صَعْصَعة المزيني، ثم تعقب ذلك صدور الإقرار، فَعُزِّرَ تعزيراً بليغاً وطُرد ومات عن قرب. وقد كان صاحب الترجمة حَكَم له بأنَّه مُحمَّد بن حُسين استناداً إلى الظاهر، وهو إقرار الأهل، فَطُلِبَ من الحضرة العلية، وأُرسِلَ عليه رسول، ثم أعفي عن الوصول. والمترجم له عافاه اللَّه مُستمرٌّ على حاله الجميل، ناشرٌ للعلم في مدينة ذمار مكثرٌ من أعمال الخير، قائمٌ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمقدار ما يمكن، مع سلامة صدرٍ وكرامة أخلاقٍ وحسنِ محاضرةٍ وجميلِ مذاكرةٍ واحتمالٍ لما يلاقيه من الجفاء الزائد من أهل بلده بسبب نشره لعلم الحديث بينهم، وميله إلى الإنصاف في بعض المسائل مع مبالغته في التكتم وشدة احترازه.

(١٥٧)

(الحُسَيْنُ بن يَحْيَى السَّلفيّ الصَّنعانيّ)

ولد تقريباً بعد سنة ١١٦٠ ستين ومائة وألف، وأخذ العلم عن جماعة من علماء صنعاء، ومنهم شيخنا السيد العلَّامة عبد القَادِر بن أحمد، وشيخنا السيد العلَّامة عليّ بن إبراهيم بن عامِر، وشيخنا العلَّامة أحمد بن مُحمَّد الحرازي، وآخرين. وأخذ عني في أمالي الإمام أحمد بن عِيسَى، وحضر في القراءة عليَّ في أدوال متعددةٍ. وهو رجلٌ ساكنٌ عاقلٌ حسن السمتِ، قويّ المشاركة في علوم الاجتهاد، عامل بما تقتضيه الأدلّة، جيد الفهم. وهو الآن أحد المدرّسين في الفنون بجامع صنعاء، نفع اللَّه به. ولصاحب الترجمة أخٌ عالمٌ شاعرٌ، وهو إسماعيل بن يَحْيَى، توفي وهو في سنّ الشباب بمكَّة المشرّفة في شهر ذي الحجة سنة ١١٩٤ .(ومات) المترجم له رحمه اللَّه في سنة ١٢٣٠ ثلاثين ومائتين وألف.

(١٥٨)

(السيد الحُسَيْنُ بن يُوسُف بن الحُسَين بن أحمد زبارة)

قد تقدم رفع نسبه. ومولده على التقريب بعد سنة ١١٥٠. نشأ بصنعاء، وأخذ